رابط المادة على منصة باحث

تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 7- سورة الحجرات | الأية 41

عبدالرحمن العجلان

وعلى نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلدكم من اعمالكم شيئا - 00:00:00

ان الله غفور رحيم انما المؤمنون الذين امنوا هذه الاية الكريمة من سورة الحجرات جاءت بعد قوله جل وعلا يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم - 00:00:32

ان الله عليم خبير قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلدكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم - 00:01:05

يقول الله جل وعلا لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم قالت الاعراب امنا الاعراب هم سكان البادية سواء كانوا عربا او عجم والعربي هو من ينتسب الى اصل عربي - 00:01:32

سواء سكن البادية او الحاضرة يقال له عربي وهذه الايات الكريمة قيل في سبب نزولها ان بني اسد ابن خزيمة جاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة لاهليهم - 00:02:02

واولادهم في سنة مجدبة جاءوا يريد من الصدقة ومن عطاء النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يقولون له اتيناك في ثقلنا الاولاد والاهل والناس جاؤوك على وكائبهم لافرادهم ونحن جئنا كطائعين ولم نقاتلك - 00:02:29

كما قاتلك فلان وبنو فلان جئنا مؤمنين فزكوا انفسهم الايمان فانزل الله جل وعلا على محمد صلى الله عليه وسلم قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا لم تؤمنوا - 00:03:09

الايمان الكامل يا ايمان المهاجرين والانصار وانما انتم جئتم موقادين طائعين ووصفهم الله جل وعلا بقوله الاعراب اشار بعض المفسرين رحمهم الله انهم احبوا ان يتسموا باسم المهاجرين او الانصار - 00:03:45

فبين الله جل وعلا لهم انهم لا يسوق لهم ذلك وانما هم اعراب قل لهم يا محمد لم تؤمنوا الايمان الكامل وانما قولوا اسلمنا فانتم مسلمون جئتم وهذه منقبة لهم كما قال - 00:04:17

ابن كثير رحمه الله يقول هؤلاء ليسوا منافقين لانهم لو كانوا منافقين لما قتلهم الله وذمهم لكنه وجههم وانبهم لقولهم عن انفسهم لانهم مؤمنون والواقع والحقيقة انه لم يتمكن الايمان من قلوبهم - 00:04:47

وانما هم مسلمون قال رحمه الله وهذا دليل على الفرق بين الاسلام والايمان كما جاء في حديث جبريل الذي سأل فيه النبي صلى الله عليه وسلم وان الصفات التي يتصف بها العبد - 00:05:17

ثلاث اولاها وعدناها صفة الاسلام ثم بعدها صفة الايمان ثم بعدها صفة الاحسان فالاسلام اعم ثم الاسلام اخص منه. الايمان اخص منه ثم الاحسان اخص منه اخص من الاخص فمثلا كثير مسلمون - 00:05:45

لكن المؤمنون منهم اقل والمحسنون اقل منهم كذلك وقد يقال لهذا الرجل مسلم لكن ما يقال له مؤمن ويقال للاخر مؤمن لكن ما يقال له محسن والمحسن مسلم مؤمن فدل على المراتب والتفاوت - 00:06:16

وهذا مذهب اهل السنة والجماعة ان الايمان قول وعمل هو اعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية كلما اكثر المرء من الطاعات تمكن

الايمان من قلبه وقوي ايمانه وكلما ضعف في الطاعات - 00:06:40
ووقع في المعاصي قل الايمان عنده حتى يظمحل كما قال عليه الصلاة والسلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن لكن ما يقال للزاني كافر ولا يقال للزاني غير مسلم - 00:07:10
لا ومسلم وان زنا وان سرق كما قال عليه الصلاة والسلام وهو مسلم لكن يقال للزاني مؤمن لا ان النبي عليه الصلاة والسلام يقول لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن - 00:07:33
وهذا مذهب اهل السنة والجماعة خلافا في بعض الطوائف الضالة الخوارج الذين يقولون اذا وقع المرء في كبيرة خرج من الاسلام ويقول بعضهم كفر وبعضهم يقول خرج من الاسلام ولم يدخل في الكفر - 00:07:51
وهو في المنزلة بين المنزلتين فاذا مات قالوا هو خالد مخلد في النار عفو الله اذا لمن يكون. صاحب الكبيرة خالد مخلد في النار قول الله جل وعلا ان الله لا يغفر ان يشرك به - 00:08:18
ويغفر ما دون ذلك ودون ذلك يشمل السرقة والزنا وشرب الخمر وسائر الكبائر والله جل وعلا اذا شاء غفر لعبده لكن مشرك يعبد الاصنام كافر هذا محروم من المغفرة ان الله لا يغفر ان يشرك به - 00:08:36
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء. ومذهب اهل السنة والجماعة واضح جلي في هذا والحمدلله وهو موافق ويقبله العقل السليم يعني المسلم اذا وقع في كبيرة من كبائر الذنوب يقال كفر - 00:09:00
المسلم اذا وقع في كبيرة من كبائر الذنوب يقال خالد مخلد في النار لمن يكون العفو اذا المنازل والصفات والمراتب التي يتصف بها العباد ثلاث عدناها مرتبة الاسلام قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن - 00:09:19
قولوا اسلمنا ما كانوا منافقين كما قال بعض المفسرين رحمهم الله ابن كثير اعترض على هذا قال ما كانوا منافقين والا لو كانوا منافقين ما كان هذا التأنيب والتعذيب لهم - 00:09:45
فضحوا لكنهم مسلمون في اول الامر وهل يقال ان المسلم الجديد مثلا في اول الامر ما تفقه ولا تمكن الامام من قلبه مثل المسلم المؤمن التقي الصالح وهل يقال ان ايمان اي فرد من افراد الامة مثل ايمان ابي بكر وعمر رضي الله عنهما - 00:10:04
الاسلام والانقياد الظاهري وخروج من الكفر بالطاعة لله ولرسوله والايمان اخص منه واقوى والاحسان اخص من الايمان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل المشهور في بيان الاسلام والايمان والاحسان قال الاحسان ان تعبد الله - 00:10:34
كانك تراه هذه يدركها المسلم الجديد مسلم ضعيف الايمان؟ لا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله. ويصلي مع الناس وهو مستر الحال لو امتحن لربما نقص - 00:11:10
واعطى النبي صلى الله عليه وسلم اناسا وحرم اناس وقال له سعد ابن ابي وقاص رضي الله عنه يا رسول الله اعطيت فلانا وفلانا وفلان لم تعطه وهو افضل منهما - 00:11:28
افضل منهم وفلان مؤمن قال اوى مسلم حتى الاخير هذا مسلم لا ما يكون مؤمن ما كان مؤمن الى الان ثم قال اني لاعطي اناسا واحرم اخر وهو احب الي منهم - 00:11:47
لكن اخشى ان يكب ذاك على وجهه في النار يعني هذاك ضعيف الايمان فاذا لم يعطى ربما نكس على عقبيه انا اعطيه تأليفا وهو مسلم ما اعطاه لانه منافق لكن اعطاه لعل الايمان يتمكن من قلبه كما تقدم لنا في المؤلفة قلوبهم - 00:12:06
يعطى منها الكافر يكفي شره ويعطى منها المسلم ضعيف الايمان ليتقوى ايمانه ويعطى منها المسلم قوي الايمان من اجل ان يستجلب ويأخذ لنا زكاة قومه كما تقدم لنا والغالب اذا ذكر معا الاسلام والايمان - 00:12:31
انه يراد بالاسلام الاعمال الظاهرة مع الشهادتين ويراد بالايمان عمل القلب. عمل القلب اعمال القلوب والاخلاص واذا ذكر احدهما دون الاخر صح ان يشمل الامرين فتقول هذا الرجل مسلم ونقول لك اتمفي عنه صفة الايمان؟ تقول لا انا اقصد انه مسلم مؤمن - 00:13:00
فاذا ذكر واحد منهما فيراد به الاثنين الاسلام والايمان واذا ذكرا معا فالمراد بالاسلام العمل الظاهر ويراد بالايمان العمل الباطن عمل

القلب واخلاص القلب وتوجه القلب لله جل وعلا قل لم تؤمنوا قل لهم للاعراب هؤلاء - 00:13:31
لا يتطلع الى صفة المهاجرين والانصار ليسوا مثل المهاجرين الذين جاؤوا من مكة الى المدينة وتركوا اهليهم وتركوا اموالهم وتركوا ما لهم رغبة فيما عند الله جل وعلا واتباعا لرسوله صلى الله عليه وسلم - 00:14:01
وليسوا مثل الانصار الذين يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة هؤلاء عراب وصفهم هذا هو ثمان الله جل وعلا لم يؤيسهم قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ان قدنا - 00:14:26
وجئنا طائعين وعملنا الاعمال الظاهرة ثم قال جل وعلا ولما يدخل الايمان في قلوبكم لما لما فيه لهم وواعد بانه ممكن من اراد الله جل وعلا له الخير ان يدخل الايمان في قلبه - 00:14:48
يعني كانه يتوقع باذن الله دخول الايمان لما اقرب في حصول ما بعدها من لم لم يدخل الايمان في قلوبكم قد يقال انه لم يدخل ولن يدخل لكن قول لما يدخل - 00:15:17
يعني انه محتمل وصول الايمان الى قلوبكم يقول مثلا لما يأتي زيد انت تطالع تنظر تتحرى اقباله لكن ما رأيته تقول لما يأتي زيد وان تتوقع انه بين لحظة واخرى - 00:15:41
فاذا هو قد وصل يعني ما بعدها يتوقع حصوله قريب الحصول ولما يدخل الايمان في قلوبكم ما تمكن الايمان في قلوبكم لكنه يؤمل ان شاء الله ان يحصل هذا ثمان الله جل وعلا - 00:16:03
بعدما وصفهم من صفة الاعراب وقولهم قال ان الله جل وعلا لا يهضمكم شيئا من حقوقكم ابدا وان تطيعوا الله ورسوله ترجيع لهم وحفز لهم وحث لهم على الطاعة والامتثال - 00:16:29
انه قال بعض المفسرين نزلت في اقوام ادعوا الايمان لكن لما طلبهم النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوة التي خرج فيها في الحديبية لعمرة الحديبية تخلفوا خافوا من قريش فلم يخرجوا مع النبي - 00:16:51
وقال الله جل وعلا لهم وان تطيعوا الله ورسوله مستقبلا لا يلتكم من اعمالكم شيئا. لا ينقص من عملكم شيء يعني كونكم اعراب لا يؤخذ شيء من حقكم كونكم ادعيتم شيئا ليس لكم - 00:17:13
لا يظلمكم الله سارعوا الى طاعة الله وطاعة رسوله فمثلا المرء تقول له اذا انتقدت عليه انت بعملك هذا فاسق لكن اذا اجتهدت في الطاعات اصبحت مؤمن لا تيأس لا تقل انك محكوم عليك بالفسق باستمرار مدى الحياة - 00:17:32
عملك هذا فسق لكن ان اجتهدت في الطاعات فيرجى لك الخير. لا يضيع عملك عند الله وانتم ايها القائلون هذا القول لم تؤمنوا حقيقة الايمان الكامل ولما يدخل الايمان لكن يتوقع دخوله - 00:17:59
وان اطعتم الله ورسوله فابشروا انه لن ينقص من عملكم شيء ثواب اعمالكم تأخذونه ما يقال هذا العمل ثوابه عظيم لو كان من مهاجري او انصاري لكن لما كان من اعرابي يظيع - 00:18:21
او ثوابه قليل لا اذا اطعتم الله ورسوله فابشروا ان عملكم لكم وثوابكم مضاعف مثل غيركم وان تطيعوا الله ورسوله طاعة صحيحة ظاهرا وباطنا ظاهرا وباطنا لان الظاهر قد يكون وحده لا ينفع مثل عمل المنافقين - 00:18:39
وان تطيعوا الله ورسوله لا يلدكم لا ينقصكم من اعمالكم شيئا. ثواب عملكم لكم اذا اطعتم الله ورسوله ثم قال جل وعلا ان الله غفور صيغة مبالغة يعني كثير المغفرة - 00:19:07
والرحمة غفور رحيم صفتان لله جل وعلا بانه كثير المغفرة والرحمة للعباد كما قال الله جل وعلا في الحديث القدسي من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا - 00:19:30
ومن اتاني يمشي اتيته هرولة والله اسرع بالمغفرة والرحمة للعباد والله ان الله هذه الصفة ثابتة لله جل وعلا ان الله غفور والصفة الاخرى الرحيم كثير الرحمة بليغ الرحمة يرحم - 00:19:56
حتى العصاة جل وعلا والله جل وعلا يرحم المطيعين المتقين ويرحم العصاة مع معصيتهم ويرحم الكفار مع كفرهم فلم يعاجلهم بالعقوبة انه لو عاجلهم بالعقوبة ما سقاهم شربة ماء يكفر بالله ويأكل ويشرب من رزق الله - 00:20:22

لكن الله جل وعلا رحمهم في الدنيا فرحمته جل وعلا في الدنيا للمؤمن والكافر والبر والفاجر ورحمته في الاخرة خاصة المؤمنين يقول تعالى منكلا منكرا على الاعراب الذين اول ما دخلوا في الاسلام - 00:20:50

ادعوا لانفسهم مقام الايمان. ولم يتمكن الايمان في قلوبهم بعد قالت الاعراب امنا الاية وقد استفيد من هذه الاية الكريمة ان الايمان اخس من الاسلام كما هو مذهب اهل السنة والجماعة - 00:21:13

ويدل يعني قد يكون الرجل مسلم ولا يكون مؤمن والمؤمن مسلم نعم ويدل عليه حديث جبريل عليه الصلاة والسلام حين سأل عن الاسلام ثم عن الايمان ثم عن الاحسان. وهي مراتب - 00:21:33

الاسلام اولا وهو اعم ثم الايمان وهو اخص منه ثم الاحسان وهو اخص من الايمان نترقى من الاعم الى الاخص ثم للاخص منه وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق الى ان قال عن سعد ابن ابي وقاص عن ابيه رضي الله عنهما قال - 00:21:53

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا ولم يعطي رجلا منهم شيئا وقال سعد رضي الله عنه يا رسول الله اعطيت فلانا وفلانا ولم تعط فلانا شيئا وهو مؤمن - 00:22:18

وقال النبي صلى الله عليه وسلم او مسلم حتى اعاد يعني سعد يقول مؤمن هذا الرجل الذي ما اعطيته قال النبي صلى الله عليه وسلم اوى مسلم يعني ما كان مؤمن هو مسلم - 00:22:34

نعم حتى اعادها سعد رضي الله عنه ثلاثا. والنبي صلى الله عليه وسلم يقول او مسلم ما وصل الى درجة الايمان. نعم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعطي رجالا - 00:22:51

وادع من هو احب منه من هو احب الي منهم. لان الدين الدنيا والمال لا قيمة له وانما يتألف به النبي صلى الله عليه وسلم مخافة ان يكبوا في النار على وجوههم لانه حريص على المال هذا وايمانه ضعيف - 00:23:08

النبي يخشى ان لم يعطه ان يكفر او ينافق ويعطيه تعليفا له والذي لم يعطه احب الى النبي صلى الله عليه وسلم ممن اعطاه وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمن والمسلم - 00:23:26

ودل على ان الايمان اخس من الاسلام وقد قررنا ذلك بادلته في اول شرح كتاب الايمان من صحيح البخاري ولله الحمد والمنة ودل ذلك على ان ذاك الرجل كان مسلما ليس منافقا لانه تركه من العطاء - 00:23:46

ووكله الى ما هو فيه من الاسلام وكله الى ما عنده من الاسلام انه يكفيه ولا يخشى عليه فما اعطاه النبي صلى الله عليه وسلم تأليفا وانما اعطى غيره ودل هذا على ان هؤلاء الاعراب المذكورين في هذه الاية ليسوا بمنافقين - 00:24:05

وانما هم مسلمون لم يستحكم الاسلام الايمان في قلوبهم. يعني ما تمكن الايمان من قلوبهم والا فهم مسلمون ليسوا منافقين ودعوا لانفسهم مقاما اعلى مما وصلوا اليه فادبوا في ذلك - 00:24:30

وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما وابراهيم النخعي وكتادة واختاره ابن جرير. وانما قلنا هذا لان البخاري رحمه الله ذهب الى ان هؤلاء كانوا منافقين. يظهرون الايمان وليسوا كذلك - 00:24:50

والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:25:08